حكايات وقصص عالمية

القبّعة الصّغيرة الحمراء

وقصص أخرى

منشورات عكاظ

حكايات وقصص عالمية

القبعة الصغيرة الحمراء

صفحة 6

القداحة السحرية

صفحة 14

الفتاة الصغيرة وعود الثقاب

صفحة 20

العازف على المزمار

صفحة 24

ملكة الثلوج

صفحة 31

الجدول وشجرة الحَوْر

صفحة 36

العصفور الذهبي

صفحة 41

نرجس

صفحة 42

الأمير ياقوتة

صفحة 44

حقوق الطبع العالمية © محفوظة
لدامي ايديتور ايطاليا
© DAMI EDITORE - ITALY
حقوق الطبع © باللغة العربية محفوظة
© لـ منشورات عكاظ الرباط
رقم الايداع القانوني 91/738
طبع في المغرب بمطابع منشورات عكاظ
4 شارع الحسن الثاني الرباط سنة 1992

القبّعة الصّغيرة الحمراء

وقصص أخرى

منشورات عكاظ

كان يا ماكان

... كان ذئب جائع يتجول في غابة كبيرة . وذات يوم رأى سلة على الأرض يغطيها منديل أبيض ، ففتح عينيه جيدا يراقب الأرجاء المحيطة ...

ثم انطلقت صوب الغابة بخطى حثيثة ، لكنها ما إن ابتعدت قليلا حتى نسيت أوامر أمها لها بالاحتراس والحذر .

– ما أجمل ثمار توت الأرض ! وما أشد حمرتها ! ...

وضعت الفتاة الصغيرة السلة من يدها وانحنت متعجبة :

– كم هي يانعة وكبيرة ! همم ، همم ! ما ألذها ! واحدة أخرى ! همم ! هذه الأخيرة ! واحدة أخرى وكفى ... همم !

ولما استَهْواها التوت الأحمر ، المتلألىء فوق العشب الأخضر ، راحت تركض هنا وهناك متلذذة بمذاق الفاكهة اللذيذ . وفجأة تذكرت أمها ، وتذكرت جدتها والسلة ... فعادت تبحث عن الطريق .

– أوف ! السلة لاتزال في مكانها !

وحملتها من جديد واستأنفت طريقها في حبور .

كانت الغابة تشتد كثافة كلما تقدمت «القبعة الصغيرة الحمراء» في سيرها ؛ وفجأة مرت فراشة كبيرة صفراء ترفرف في ضوء أشعة الشمس فتبعتها صائحة :

– سأمسك بك ! سأمسك بك ...!

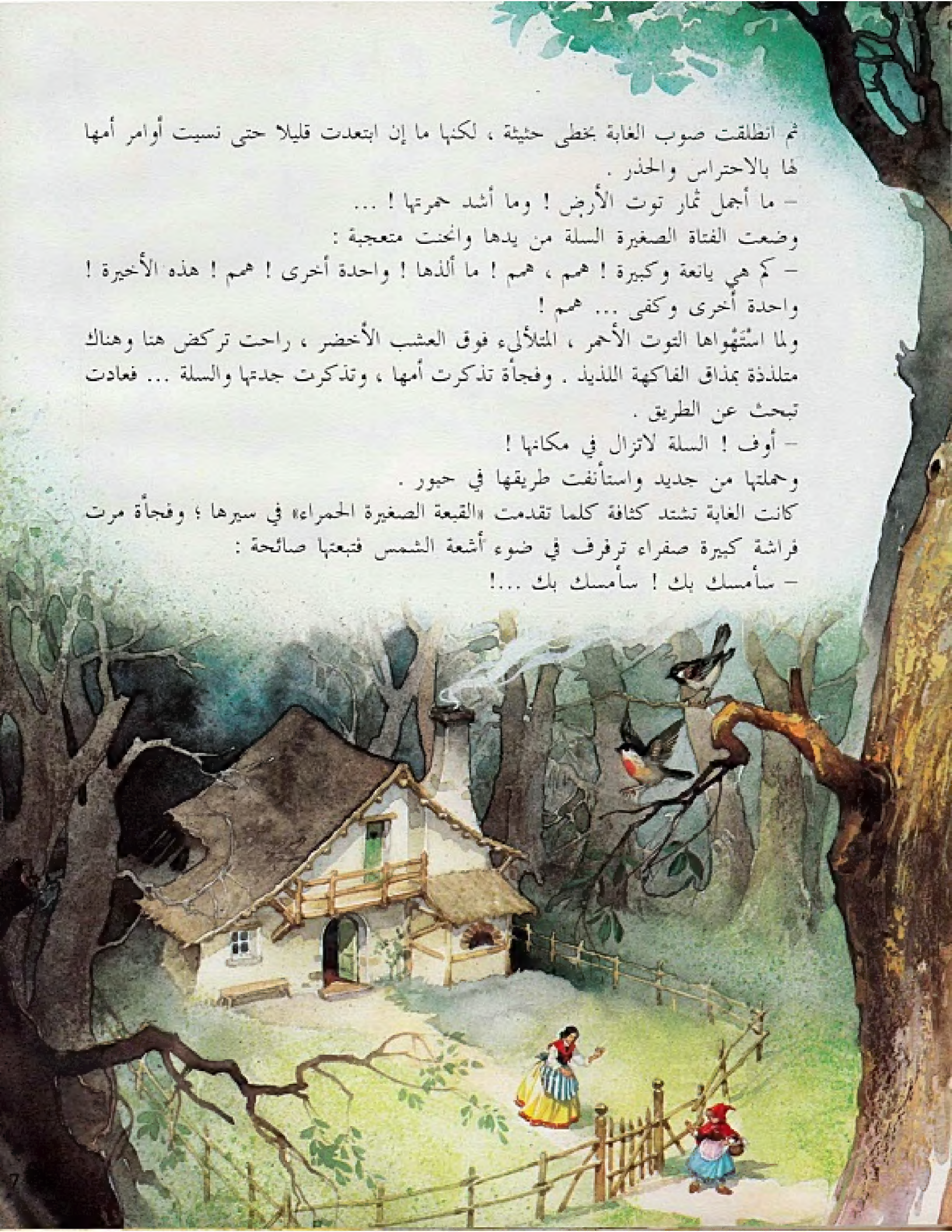

القبعة الصغيرة الحمراء

يحكى أنه كان في وسط غابة كثيفة منزل صغير أبيض تسكنه فتاة صغيرة يعرفها الكل بإسم «القبعة الصغيرة الحمراء» .

وذات صباح ، رافقتها أمها حتى بوابة الحديقة وَقَبَّلَتْهَا وقالت لها :

– احملي هذه السلة من الكعك إلى جدتك المريضة ؛ ولكن إياك أن تزيغي عن الطريق أو تتوقفي أثناء سيرك ، فإنني أخشى أن يصيبك مكروه .

قبلت «القبعة الصغيرة الحمراء» أمها وقالت تطمئنها :

– لا تقلقي يا أمي ! سأتوجه إلى بيت جدتي بسرعة ولن أتوقف أثناء سيري .

غليظا يخاطبها :

– إلى أين تذهبين وحدك هكذا أيتها الطفلة الجميلة ؟

فأجابت بصوت مرتعش :

– أنا ذاهبة عند جدتي المريضة أحمل لها الكعك ، فهي تنتظرني في بيتها هناك عند نهاية الطريق .

فسألها الذئب بلطف (لأن الأمر يتعلق به) :

– وهل تقطن جدتك وحدها ؟

فردت عليه :

– نعم إنها تقطن وحدها ، ولكنها لا تفتح الباب أبدا لمن لا تعرفه !

غير أنها أبصرت أزهار الربيع في بهائها الجذاب فقالت متعجبة :

– كم أنت جميلة أيتها الأزهار !

وفكرت في جدتها فخطر لها أن تقطف باقة وتهديها إليها ، لكن في هذه الأثناء كانت عينان خبيثتان تترصدان حركتها من وراء الأشجار ...

أخذ قلب الفتاة الصغيرة يخفق بقوة عندما سمعت صوتا خفيا داخل الغابة .

فقالت في نفسها وقد بدأ الخوف ينتابها :

– يجب أن أعود وأذهب إلى بيت جدتي دون أن أتأخر !

وأخيرا اهتدت إلى الطريق . ولكن خفقان قلبها اشتد من جديد عندما سمعت صوتا

فكر الذئب في خطة ماكرة عند سماع هذه الكلمات وقال وهو يبتلع لعابه :

– إلى اللقاء يا صغيرة ، فربما نتقابل مرة أخرى !

ثم اختفى بين الأدغال .

وقال في نفسه وهو يجري متدلي اللسان ولعابه يسيل من فمه :

– سآكل الجدة أولا وبعدها يأتي دور الفتاة !

وما هي إلا برهة حتى وصل إلى البيت الصغير فطرق الباب مرتين ، فسألت الجدة من سريرها :

– من يطرق الباب ؟

فقال الذئب المفترس وهو يحاول تلطيف صوته الغليظ :

– أنا «القبعة الصغيرة الحمراء» ياجدتي ، جئت أحمل إليك الكعك لأنك مريضة !

فردت الجدة دون أن تشك في شيء :

– اسحبي الخابور ليسقط المزلاج !
وهكذا دخل الذئب الخبيث إلى غرفة الجدة المسكينة ، وما كاد يقترب من السرير حتى انقض عليها وابتلعها في لقمة واحدة .
بعد ذلك بقليل ، وصلت «القبعة الصغيرة الحمراء» إلى بيت جدتها فدقت الباب مستأذنة في الدخول :
– جدتي . أنا «القبعة الصغيرة الحمراء» فهل تأذنين لي بالدخول ؟
كان الذئب في تلك الأثناء قد وضع قبعة الجدة على رأسه والخمار حول عنقه ونام على السرير ، فأجابها محاولا تغيير صوته :
– اسحبي الخابور ليسقط المزلاج !
قالت الفتاة الصغيرة متعجبة :
– ما أغلظ صوتك ياجدتي !
فأجاب الذئب :
– لأحسن استقبالك ياحفيدتي !
وقالت الفتاة وهي تقترب من السرير :
– ما أكبر يديك !
فرد الذئب :
– لألاطفك وأداعبك ياصغيرتي!
وتابعت كلامها متعجبة :
– وما أكبر فمك ياجدتي !
فصاح الذئب :
– ...بها على ابتلاعك !
ثم انسل من الغطاء ، وفي رمشة عين انقض على «القبعة الصغيرة الحمراء» وابتلعها بدورها .

في هذه الأثناء ، كان صيادٌ قد خرج من الغابة فأبصر البيت الصغير وخطر له أن يتوقف عنده ليطلب من أهله طعاما وشرابا . فمنذ وقت طويل وهو يترصد حركة ذئب كبير كان يرعب سكان تلك الناحية ويهدد أمنهم ، ولكنه فقد أثره .

ولما اقترب الصياد من البيت الصغير سمع شخيرا غريبا ينبعث منه ، وتوجه نحو نافذة ليعرف مصدر الصوت ...

وحالما أطل من النافذة أصابته الدهشة : كان الذئب الكبير ممدودا فوق سرير الجدة وهو يشخر شخيرا عاليا ، وكان بطنه منتفخا بدرجة كبيرة . فقال الصياد متوعدا :

– أنت هنا أيها اللعين ! لن تفلت هذه المرة من يدي !

وفي هدوء أعد بندقيته وفتح النافذة ، ثم سدد سلاحه صوب رأس الذئب وأطلق النار فأرداه قتيلا .

وصاح الصياد من الفرح :

– قد ظفرت بك أخيرا أيها الذئب ، ولن تؤذي بعد اليوم أحدا !

ثم أخرج خنجره وشق به بطن الوحش . وكم كانت دهشته كبيرة عندما خرجت منه الجدة والفتاة الصغيرة وهما سليمتان .

فقالت له العجوز المسكينة وهي لازالت مضطربة :

– لقد جئت في الوقت المناسب أيها الصياد الشجاع !

وتوجه هذا الأخير إلى «القبعة الصغيرة الحمراء» وقال لها :

– الآن يمكنك أن تعودي إلى البيت دون أن تخافي ، فالطريق من الآن فصاعدا أصبح آمنا !

وهكذا شكرت الفتاة الصغيرة للصياد صنيعه ، وودعت جدتها ثم عادت إلى المنزل رفقة أمها التي كانت قد جاءت تبحث عنها .

وبينما هما في الطريق قالت «القبعة الصغيرة الحمراء» لأمها :

– علينا ألا نزيغ عن الطريق ، وألا نتوقف في سيرنا إذا كنا نريد الوصول بسلام ولا نتعرض لمكروه !

الشجرة وتهبط إلى قاعها حيث ستجد كهفا له أبواب ثلاثة : عندما تفتح الباب الأول ستجد كلبا ضخما له عينان كأنهما صحنان كبيران يحرس صندوقا من القطع النحاسية . وعند الباب الثاني ستجد ركاما من القطع الفضية يحرسه كلب عيناه كأنهما رحى طاحونة . وإذا فتحت الباب الثالث ستجد كلبا آخر عيناه أكبر بكثير من الكلبين الآخرين يحرس ركاما من القطع الذهبية . لكنك إذا بسطت هذا الستار العتيق أمام الكلاب فإنها سترقد فوقه ولن تمسك بسوء ، وعندئذ يمكنك أن تجمع ما تريده من المال ، فما رأيك ؟

لكن الجندي أجابها محترسا :

– وماذا تطلبين مقابل ذلك ؟

فقالت له :

– أريد فقط أن تعيد إلي قداحة عتيقة كانت جدتي قد نسيتها هناك منذ زمن بعيد !

شد الجندي إلى خصره حبلا وتسلل عبر تجويف الجذع . وكم كانت دهشته كبيرة عندما وجد الأبواب والكلاب الثلاثة كما وصفتها الساحرة .

وما هي إلا لحظات حتى عاد إلى السطح وجيوبه مليئة بقطع النقود .

وقبل أن يسلم القداحة إلى العجوز سألها :

– ماذا ستفعلين بها ؟

وما كاد يكمل كلامه حتى ارتمت عليه الساحرة محاولة أن تخدشه بأظافرها وقالت تتهدده :

– ردها إلي حالا أيها اللعين وإلا فسوف ...

فقال لها الجندي وقد أدهشته شراستها :

– أهذا هو جزاء المعروف ؟! سترين ماذا سأفعل أنا !

وأخرج سيفه من غمده وهوى به على العجوز فسقطت صريعة في الحين .

ثم انصرف وهو يترنم ويلهو بالقطع النقدية بين يديه . ولما وصل إلى المدينة قال في نفسه وهو يهم بالدخول إلى أحد الفنادق :

القداحة السحرية

يحكى أن جنديا شجاعا عاد من الحرب ، ورغم شجاعته لم يكن يملك ولو قدرا قليلا من المال .
وكان سيفه هو ثروته الوحيدة .
وذات يوم بينما كان يعبر الغابة استوقفته ساحرة عجوز وقالت له :
– أيها الجندي الباسل ، هل تحب أن تفوز بكيس من المال ؟
فأجابها :
– كيس من المال ؟! أنا مستعد للقيام بأي عمل من أجل الحصول على النقود ...
فقالت الساحرة :
– طيب ! سترى أن الأمر ليس صعبا ، فما عليك إلا أن تدخل في الجذع المجوف لتلك

– أخيرا سآكل وأشرب حتى أشبع ...
ولم يسبق لهذا الفندق أن أقام فيه مثل هذا الزبون . وصار الجندي يطلب أرقى ما يوجد فيه من الأطباق وأكثرها وفرة وجودة . وكان عند نهاية كل وجبة يغدق على الخدم هدايا . لقد نشأ في نفس الجندي إحساس بأنه أصبح أميرا بفضل هذه الثروة المفاجئة بعد أن كان يعيش حياة فقر . فاشترى أولا أفخر حذاء في المدينة ، ثم ذهب بناء على نصيحة بعض ضيوفه إلى أمهر الخياطين ، وما هي إلا أيام حتى غدا يرتدي بدلة فاخرة أثارت إعجاب الجميع . وبسبب سخائه الكبير زاد أصحابه وتكاثر ملازموه الذين كانوا يحثونه على إنفاق أمواله . وكان يدعوهم كل يوم إلى المآدب الفاخرة والحفلات الراقصة والنزهات .

بقي على هذه الحالة حتى أتى على ثروته بكاملها فهجره أصدقاؤه ولم يعد يقدر على أداء واجبات إقامته بالفندق ، فطرد منه في هوان ومذلة .

وانتهى الجندي المسكين إلى العيش في أحد البيوت العتيقة . وبدأ وزنه ينقص كل يوم وصار جسمه نحيلا من جراء الهموم ، فقد ولى عهد اليسر والرخاء .

ذات مساء بينما كان يعد النقود الزهيدة المتبقية بحوزته عثر على القداحة وتذكر أنه لم يستعملها أبدا . فحك حجرتها . وعند أول شرارة ظهر أمامه الكلب ذو العينين الكبيرتين مثل الصحن . فقال الحيوان :

– أمرك يا مولاي !

دهش الجندي لما رآه وقال متلعثما :

– أريد مالا كثيرا !

وما هي إلا لحظة حتى عاد الكلب وبين أنيابه كيس مملوء بالقطع النحاسية .

وكلما حك الجندي حجرة القداحة مرة واحدة جاءه الكلب بمزيد من النقود . ولما [illegible] حجرة

مرتين ظهر أمامه الكلب ذو العينين اللتين تشبهان رحى الطاحونة ومعه بقود فضية . وعندما حك الحجرة ثلاث مرات ظهر الكلب الذي يحرس القطع الذهبية .

ولما أصبح الجندي غنيا من جديد ذهب إلى أفخر فندق بالمدينة ليقيم فيه ، وعاد إلى حياة اليسر والرخاء .

وصار يحضر الحفلات الرسمية بالقصر مثل باقي أعيان المدينة . وفي إحدى الحفلات الفاخرة بلغه أن الملك يمنع الشبان من الاقتراب من إبنته الفائقة الجمال ، وذلك لأن أحد المنجمين كان قد تنبأ بزواج الأميرة من جندي بسيط .

وعندما عاد الجندي إلى الفندق حك حجرة القداحة وقال للكلب الذي ظهر على الفور :

– أحضر لي الأميرة ولو لوقت قصير !

وما كاد يكمل طلبه حتى اختفى الحيوان ثم عاد يحمل الفتاة الجميلة وهي نائمة .

وحين رأى الجندي جمالها الفائق لم يتمالك نفسه وقبلها على خدها .

الحكم جمهور الناس حول المشنقة ، وعندما جيء بالمتهم سُمع صوت يقول :

– مسكين هذا الشاب ! كم هو وسيم ! كيف يعقل أن يقتل بسبب قبلة ؟!

فأجاب أحد الحرس :

– إنه يستحق العقاب !

وبينما كان الجلاد يستعد ليجعل حبل المشنقة حول عنق الجندي ، طلب هذا الأخير أن يُسمح له بأن يدخن غليونه لآخر مرة . فلم يعترض عليه أحد فأخرج القداحة وحك حجرتها عدة مرات ، فظهرت الكلاب الثلاثة فجأة وأمرها الجندي بمهاجمة الحراس . فانقضت عليهم وسط صيحات وتصفيقات الجمهور الذي أخذ يطالب بإطلاق سراح المتهم. أما الملك فظل مشدوها بما رأت عيناه. وأمام تعالي صيحات الناس وإصرارهم على إطلاق سراح الجندي لم يجد الملك بدا من الاستجابة .

وفي نفس الوقت ، استدار نحو الملكة وقال لها :

– أظن أن من تنبأ بزواج الأميرة من جندي قد صدق !

وبالفعل ، فقد تزوج الجندي الشاب الثري بالأميرة الحسناء ، ومرة أخرى حك حجرة القداحة السحرية ليدعو أصدقاءه الثلاثة لحضور حفل الزفاف الفاخر .

وفي الصباح التالي قصت الأميرة على أبويها ما كانت تظنه حلما ، فكلفت الملكة سيدة من القصر بالمكوث بجانبها ليل نهار .

وفي الليلة الموالية شاهدت المرأة الكلب الذي جاء ليحمل الأميرة فأخبرت سيدتها . وعلى إثر ذلك فكرت في خطة ذكية لمعرفة حقيقة الأمر .

فملأت كيسا صغيرا بالطحين وضعته بين حواشي تنورة الأميرة وجعلت فيه ثقبا حتى يتم تمييز الطريق الذي يسلكه الكلب . وبهذه الطريقة تم اكتشاف الجندي فألقي عليه القبض في الحال .

ولم يكن الملك متسامحا في حق الجندي حيث أصدر في حقه حكما بالمشنق . ولما حان يوم تنفيذ

النحيل لا يقوى على مقاومة البرد . فأخرجت عودا وأشعلته .

آه ! ما أدفأ هذه الشعلة !

وظهر لها وسط الشعلة موقد فبسطت رجليها نحوه ، لكن العود انطفأ فاختفى الموقد ، وأظلمت الدنيا وزادت قساوة البرد ، وأخذ الجسم الصغير يقشعر من جديد . فأخرجت الفتاة المسكينة بعد تردد كبير عودا آخر . ولما حكته على الحائط تراءى لها كأن الحائط تحول إلى نافذة زجاجية كبيرة بدت من ورائها مائدة يتوسطها شمعدان . وكانت المائدة غاصة بألوان شهية من الطعام والشراب كأنما تدعو الفتاة الصغيرة للاقبال عليها . فبسطت يدها نحو أطباق الطعام ، ولكن الشعلة انطفأت فجأة فعاد كل شيء كما كان من قبل .

مسكينة هذه الفتاة ! فبعد أن ظنت أن القدر أشفق لحالها وبعث إليها الدفء والطعام تبخر كل شيء . فأجهشت بالبكاء ورفعت بصرها إلى السماء ترجو قسطا من السعادة التي ينعم بها الناس من وراء النوافذ المتلألئة بالنور . ثم أشعلت عود ثقاب ثالث فتجلت أمامها معجزة جديدة حيث رأت شجرة باسقة مزينة بآلاف الشموع الصغيرة والشرائط والكويرات الملونة ، فصاحت من الدهشة :

الفتاة الصغيرة وعود الثقاب

يحكى أن فتاة فقيرة كانت تبيع علب عود الثقاب للمارة لكسب قوتها اليومي .
وفي ليلة حالكة من ليالي أواخر شهر دجنبر كان البرد قارسا والأزقة خالية والثلج يغطي كل شيء .
وكانت تُسمع من وراء النوافذ من حين لآخر أناشيد وقهقهات حيث كان الناس يستعدون للاحتفاء بحلول العام الجديد ، بينما جلست الفتاة الصغيرة قرب نافورة وهي مهمومة حزينة . ففي ذلك اليوم التعس لم تبع ولو علبة واحدة من عود الثقاب ، ولم تجرؤ على العودة إلى البيت مخافة أن يؤنبها زوج أمها .
ولم تكن ملابسها الرثة البالية كافية لحمايتها من الزمهرير ، وحاولت أن تُبقي رجليها العاريتين بعيدا عن الأرض حتى لا تلمسا الثلج المتجمد . وبسبب شدة البرد لم تعد قادرة على تحريك أصابعها . فخطر لها أن تشعل عود ثقاب عسى أن تستدفىء بحرارته قليلا . لكن ماذا سيكون جزاؤها لو عرف زوج أمها ذلك ؟ وليكن ! فالجو بارد جدا ، وجسمها

– آه ما أروع هذه الشجرة !

ورفعت عود الثقاب في الهواء ، وما هي إلا لحظات حتى انطفأت الشعلة وتصاعدت أنوار الشموع إلى السماء فأطبقت الظلمة من جديد .

وفجأة هوى أحد الأنوار من السماء تاركا وراءه خطا ضوئيا ، فهمست الفتاة الصغيرة :

– ربما مات أحد الأشخاص !

وتذكرت جدتها العزيزة التي كانت تقول لها :

– عندما يموت نجم من السماء تنتهي حياة أحد الناس !

وبصفة تلقائية أشعلت عودا آخر فتمثلت أمامها صورة جدتها المحبوبة .

– جدتي ! جدتي ! لا تتركيني ، أنا بحاجة إليك !

ومخافة أن تختفي الجدة أخذت تشعل أعواد الثقاب الواحد تلو الآخر . فظلت الجدة ماثلة أمامها وهي تبتسم وتنظر إليها بحنان ، ثم فتحت يديها فارتمت الفتاة في حضنها وهي تتوسل إليها :

– أرجوك ياجدتي خذيني معك !

وفي اليوم التالي بزغ الصباح البارد بنور باهت أضاء شارع المدينة ، وقرب النافورة كان جسم صغير يرقد دون حركة وسط أعواد الثقاب المتناثرة هنا وهناك . ولما مر الناس قالوا :

– مسكينة هذه الفتاة الصغيرة ! لقد حاولت أن تستدفىء بأعواد الثقاب !

لكن الفتاة الصغيرة كانت في تلك اللحظة قد صعدت إلى عالم لا يوجد فيه البرد ولا الجوع ولا الألم .

العازف على المزمار

كان سكان مدينة «هارلم» الممتدة على ضفاف أحد الأنهار بشمال «ألمانيا» يعملون بجد ويعيشون سعداء . وكانت منازلهم المبنية بالحجر الرمادي تحيط بمقر بلدية المدينة .
ومرت السنوات وعيش السكان يتحسن ويزداد ازدهارا ، لكن حادثا غريبا وضع ، ذات يوم ، حداً لطمأنينتهم .

فبالرغم من وجود الفئران في المدينة بكثرة ، فإنها لم تكن تُشكّل خطرا حقيقيا على سكان «هارلم» لأن القطط كانت تحل المشكلة بطريقتها التقليدية ، أي بافتراسها .

غير أن عدد الفئران تزايد بكثرة مفرطة على حين بغتة فأُرغمت القطط على الفرار من الخطر الذي يتهددها ، لكنها ظلت تسقط فريسة الفئران الجائعة باستمرار . وظهر أن لا شيء يستطيع إيقافها رغم تدخل الجيش ونزوله بالمدينة .

وبدأت الفئران بمهاجمة مخازن الحبوب ومستودعات التموين . وعندما لم تجد شيئا آخر أخذت تقرض الأثواب والأحذية ، وكل ما تصادفه في طريقها سوى المعادن التي كانت مستعصية على أنيابها .

وأصاب الرعب سكان المدينة فارتفعت أصواتهم مطالبة المجلس البلدي بتخليصهم من الكارثة التي حلت بهم ، وكان هذا الأخير قد استقر منذ أيام بمقر البلدية للبحث عن حل ممكن .

– نحتاج إلى جيش من القطط !

لكن القطط اختفت كلها .

– يجب أن نقدم للفئران طعاما مسموما ...

لكن المؤونة لم تبق بوفرة ولم يعد للسم تأثير على الفئران .

واقترح مستشار آخر بحدة :

– يجب علينا أن نهاجمها بالطراوات .

وبمرارة أبدى العمدة رأيه فقال :

– لن نستطيع مواجهتها لوحدنا أبدا !

وفي هذه الأثناء ، بينما كانت الجماهير متذمرة في الخارج ، سُمِعَتْ طرقات عنيفة على باب مقر المجلس ، فتساءل الأعيان بعد أن أقلقهم غضب الجماهير :

– تُرى من يكون الطارق ؟

وصباح اليوم التالي عندما بدأ ضوء الفجر ينتشر في الفضاء تردد في شوارع المدينة لحن غريب . ففي تلك اللحظة كان العازف على المزمار يمر ببطء بين المنازل ومن ورائه حشد من الفئران ما فتىء يتزايد كلما تقدم في السير .

كانت الفئران على اختلاف أحجامها تنطلق من الأبواب والشبابيك والنوافذ ، ثم تتبع الغريب الذي لم ينقطع عن العزف وهو يتجه نحو النهر . وببطء نزل إلى الماء حتى بلغ خصره ، فسارت الفئران في أثره إلى أن غرقت وجرفها التيار .

وعندما توسطت الشمس كبد السماء لم يعد هناك ولو فأر واحد في المدينة ، فصار الناس يطلقون صيحات الفرح وهم مبتهجون . ويمقر المجلس البلدي كان الجو طافحا بالاستبشار فقال العمدة يفتخر أمام الجميع :

– أنا الذي كلفت الغريب بتلك المهمة !

حينئذ تقدم الغريب ليقبض المكافأة فقال أحدهم :

ورغم ذلك فتح الباب بحذر : كان الطارق شخصا غريبا ، طويل القامة نحيف الجسم . وكان يرتدي ملابس زاهية الألوان ويضع قبعة فيها ريشة طويلة ، وبين يديه مزمار ذهبي اللون يلوح به أمام أعين المستشارين المندهشين . فقال لهم :

– لقد سبق لي أن أنقذت عدة مدن من الخفافيش والصراصير ، ويمكنني أن أخلصكم من الفئران إذا دفعتم لي ألف فلوران !

فقال له العمدة :

– ألف فلوران ؟ سأمنحك خمسين ألف فلوران إذا نجحت في مهمتك !

ورغم تشكك العمدة فقد حيّاه بحرارة معبرا له عن قبول الاتفاق .

وانصرف الغريب قائلا :

– فات الأوان بالنسبة لهذا المساء، لكن غدا عند الفجر لن تجدوا في مدينتكم أثرا للفئران!

في تلك الليلة تخلص السكان من كابوس الفئران فناموا نوما عميقا أكثر من المعتاد ، حتى إن اللحن الغريب عندما تردد ، مرة أخرى بين الأزقة في مطلع الفجر ، لم يسمعه سوى الأطفال فخرجوا من منازلهم كما لو كانوا مسحورين .

وعبر العازف المدينة ، لكن هذه المرة كان الأطفال من مختلف الأعمار يتبعونه في صمت وهم مفتونون باللحن الغريب .

وسرعان ما خرج الموكب الطويل من المدينة وتوغل في الغابة إلى أن بلغ سفح جبل شاهق فتوقف ، ثم صعد العازف فوق صخرة سوداء وأشار بالمزمار فانفتحت بوابة عريضة لأحد الكهوف محدثة صريرا . ولما اختفى آخر الأطفال في ظلمة الكهف بعد أن تبعوا العازف انسدت البوابة ، ثم انهار جانب من الجبل محدثا دويا هائلا فأغلق المدخل إلى الأبد .

وجاء سكان المدينة للبحث عن أبنائهم فوجدوا طفلا واحدا أعرج كانت مشيته بطيئة بسبب عاهته فتخلف عن باقي الأطفال ، وحكى لهم كل شيء .

ورغم كل مجهودات الآباء القلقين لم يرد لهم الجبل أبناءهم أبدا . وخلال زمن طويل جعلت المأساة من مدينة «هارليم» منطقة حزينة غارقة في الصمت .

ومرت الأعوام قبل أن تتردد في المدينة أصوات أطفال آخرين ، لكن ذلك الدرس الصعب تناقلته الأجيال عبر قرون ، وظلت ذكراه ماثلة في كل القلوب .

– خمسون ألف فلوران ! هذا مستحيل ...

فصاح العازف على المزمار مغتاظا :

– ادفعوا لي ألف فلوران على الأقل ...

ولم يترك له العمدة فرصة مواصلة كلامه حيث قال :

– لقد ماتت الفئران ، ومن الآن فصاعدا لن يقدر أحد على إرجاعها ، اقنع إذن بخمسين فلوران وإلا فلن تنال شيئا ...

فاستشاط العازف غيظا وأشار بأصبعه يهدد المستشارين :

– ستندمون بمرارة على عدم وفائكم بالوعد !

ثم اختفى ، وغشيت الحاضرين قشعريرة الخوف ، لكن العمدة ختم المجلس بقهقهة الانتصار وقال :

– لقد وفّرنا خمسين ألف فلوران !

ملكة الثلوج

يحكى أن مرآة صنعها الجن كانت لها القدرة على تحويل الأشياء إلى أضدادها :
وهكذا فالوجه الصبوح المشرق يصبح كئيبا وغاضبا ، والنظرة الخاطفة تتحول إلى نظرة حب .
لكن المرآة تكسرت ذات يوم إلى ألف شظية وصارت كل واحدة منها تشبه في حجمها حبة الرمل فتفرقت في سائر أنحاء العالم محتفظة بقدرتها الشريرة . فإذا تسربت إحدى الشظايا إلى عين أحد الناس يصبح شريرا ، أما إذا نفذت إلى قلبه فإن القلب يتحول إلى قطعة ثلج .
وكان في إحدى المدن الكبيرة طفلان إسمهما «كاي» و «جيردا» يسكنان قبالة بعضهما . وكانت تجمعهما صداقة كبيرة لدرجة أن نبات الجلبان الذي ينمو أمام نافذة الصبي غدا يعانق شجرة الورد التي تنمو أمام نافذة الصبية . ومن هاتين النافذتين كان الصديقان يقصان على بعضهما حكايات طويلة .
وذات مساء بينما كان «كاي» يراقب تساقط الثلج من وراء نافذته شاهد أمامه كويرة بيضاء أخذت تكبر شيئا فشيئا إلى أن تحولت إلى امرأة فائقة الجمال ، وبالرغم من أن جسمها من الجليد فقد كانت الحياة تدب فيه . وفجأة نادته المرأة الغريبة ففزع من ذلك ، لكنها سرعان ما اختفت عن الوجود . ولم يكن الصبي يعلم عندئذ أنه قد رأى ملكة الثلوج .
مر فصل الشتاء ، وفي أحد أيام الربيع بينما كان «كاي» و «جيردا» يتصفحان كتابا قال «كاي» وقد حل به ألم مفاجيء :
— أحس بألم شديد في قلبي ! وأشعر كأن شيئا مثل الشوكة يخزني في عيني !
فقالت «جيردا» تطمئنه :
— لا تقلق يا صديقي فأنا لا أرى في عينك شيئا !

في حين أن شظيتين من مرآة
الجن كانتا قد نفذتا إلى جسم الصبي وأصبح
ضحية للشر ، وفي الحال قال لصديقته :
– كم أنت بشعة !
ثم أعرض عنها بوجهه وقطف وردتين من شرفتها وانصرف . ومنذ ذلك اليوم أصبحت قساوة الصبي تزداد وتشتد ، ولم يقدر أحد على تفسير هذا التغيّر الفظيع في سلوكه . وهجره جميع الناس إلا صديقته «جيرداه» التي ظلت وفية لصداقتهما رغم الاهانات والشتائم التي يوجهها إليها .
وحل فصل الشتاء في ذلك العام قبل وقته المعتاد وتساقطت الثلوج بكميات لم يسبق لها مثيل .
وذات يوم خرج «كاي» ليتزحلق على الجليد فإذا به يلمح الجميلة المجهولة التي سبق أن شاهدها ذات مساء ، وكانت تتجه نحوه وهي متدثرة بفرو أبيض .
فتوقفت المرأة بالقرب منه وطلبت إليه أن يربط حبل زلاقته بمركبتها التي يجرها حصان أبيض فاستجاب لطلبها ، وانطلقت المركبة بسرعة كبيرة .

وفجأة طارت بهما في الهواء وأخذت تعبر السحاب ، وظل الصبي متشبثا بالزلاقة خوفا من أن يسقط في الفضاء وقد استولى عليه الرعب والذهول . بعد قليل نزلت المركبة فوق سطح شاسع أبيض حيث تلمع البحيرات المتجمدة وتمتد إلى ما لا نهاية لها . حينئذ قالت له ملكة الثلوج وهي تفتح فَرْوَهاَ الدافىء :

– تعال إلى حضني لأحميك من البرد !

وبدون شعور ارتمى في حضنها، وغطيت جسمه فشعريرة عندما قَرَّبت شفتيها المتجمدتين من جبهته. ولما قبلته الملكة للمرة الثانية نسي الصبي فجأة كل شيء عن حياته وعن صديقته «جيردا» وراح في سبات عميق . في هذه الأثناء كانت «جيردا» تبحث عنه يائسة وتسأل الناس ، لكنها لم تتلق أي جواب يطمئنها ، ولما اشتد بها اليأس قادتها خطواتها إلى النهر وخاطبته قائلة :

– أيها النهر العظيم ، إذا كنت قد رأيت «كاي» أو جرفه التيار فأخبرني بذلك، وبالمقابل سأهبك هذا!

وانحنت تفك رباط حذائها ثم ألقت به إلى النهر . لكن التيار لم يستجب لتوسلاتها فدفع بالحذاء إلى الضفة . وغير بعيد عنها كان ثمة مركب مهجور فركبته «جيردا» وتركت نفسها تنساق مع التيار وهي تقول :

– أيها النهر العظيم ! أنت الذي تجري في صمت منذ الأزل ، وتعرف كل شيء عن حياة الانسان ، احملني إلى «كاي» !

وكان بالقرب من الضفة بيت صغير أبيض تقطنه جنية طيبة . فلما قصدته «جيردا» استقبلتها بعطف وطلبت منها أن تحكي لها قصتها . فأشفقت عليها . ولكي تنسيها ماضيها التعس مشطت لها شعرها بمشط سحري وهي تظن أن الفتاة الصغيرة ستبقى بجانبها إلى الأبد .

وذات يوم شاهدت «جيردا» وردة فتذكرت شجرة الورد أمام نافذتها ، وبذلك تذكرت «كاي» . وهكذا عادت لها ذاكرتها فجأة ، ففرت نحو الغابة وهي يائسة لا تعرف كيف تهتدي إلى صديقها «كاي» . لكن صوتا ناداها من داخلها بأن لا تفقد الأمل .

اللطيف وقالت تتوسله :

– أرجوك أن تساعدني للوصول إلى صديقي !

وبنظرة ملؤها الاشفاق قبل الأيل رجاءها . وامتطت ظهره وانطلق بها يقطع الوديان إلى أن بلغ بها أحد السهوب الجليدية وكان الوقت فجراً والسماء محمرة بأولى أشعة الشمس . ولما وضع الأيل الفتاة الصغيرة أمام القصر الأبيض انهالت على وجهها كميات كبيرة من الكويرات البيضاء حتى كادت تخنقها . ولكنها توسلت إلى الله بالدعاء فاستجاب لها وانقشع الجو من جديد ، ونادت «جيردا» بصوت مرتفع :

– «كاي» ! أين أنت ؟ أتسمعني ؟

استمرت تدعو ربها ودخلت القصر وهي ترتعد من قساوة الزمهرير ، وهناك وجدت صديقها . لكنه لم يتعرف عليها فعانقته وهي تبكي بحرقة فنزلت دموعها غزيرة وسالت على صدر «كاي» . وهكذا ذابت شظية المرآة الشريرة التي كانت داخل قلبه واستفاق من سباته الطويل . ولما رأى «جيردا» أمامه اغرورقت عيناه بالدموع ، وبذلك خرجت الشظية الثانية . وهكذا بفضل وفاء وتفاني «جيردا» التي تجاوزت كل الموانع اجتمع الصديقان بعد الفراق وعادت المودة بينهما . وامتطيا ظهر الأيل الذي أعادهما في رمشة عين إلى أهلهما . وأزهرت النيتان من جديد وتعانقتا علامة على الصداقة الأبدية .

وبعدما تاهت في الغابة مدة طويلة صارت منهوكة من شدة التعب والحرمان فتوقفت لتستريح .
وبينما هي كذلك إذ خرج طائر زاغ يخرج من ثقب في جذع إحدى الأشجار وأخذ ينط باتجاهها ، ولما صار على مقربة منها قال :

– إذا كنت تبحثين عن «كاي» فأنا أعرف مكانه! لقد شاهدته يعبر الفضاء وراء مركبة ملكة الثلوج!

فبكت «جيردا» من الفرح لسماع أخبار عن صديقها ، وسألت الزاغ :

– وأين هي مملكتها ؟

فأجابها :

– في بلاد «لابونيا» التي يسودها البرد القارس على الدوام ، وبإمكان هذا الأيل الذي ولد هناك أن يحملك إلى قصر ملكة الثلوج !

اقتربت «جيردا» من الأيل الكبير ووضعت يدها حول عنقه ، ثم لامست خطمه بوجهها

وكانت الفتاة تدعى «ناتاشا» وهي شديدة الخجل ، لكن حبها للحطاب صار شديدا حتى إنها تشجعت ذات يوم وقررت أن تنتظره في الطريق . ولما اقترب منها خاطبته قائلة :

– لقد قطفت ثمار التوت هذه بيدي ، وسأكون سعيدة إذا تناولتها وأنت تتذكرني !

فتفحص «إيفان» وجهها وحدث نفسه :

– ليست قبيحة الوجه ، لكنها بالتأكيد ليست المرأة التي أبحث عنها ...

وتورد وجه «ناتاشا» واحمرت خجلا من جرأتها ، وأخيرا قال «إيفان» بجفاء :

– لا أحب التوت ! ولكن شكرا لك على كل حال !

واغرورقت عيناها بالدموع فيما انصرف «إيفان» .

بعد أيام استوقفته مرة أخرى ومدت له صدرية صوفية وهي تقول له :

– عندما تعود في المساء يكون الجو أكثر برودة ، خذ هذه الصدرية لتحميك من البرد فقد نسجتها بيدي !

ومقابل هذه المعاملة الرقيقة أجابها بعجرفة :

– ما الذي جعلك تفكرين في أن رجلا مثلي يخشى البرد ؟

وتسبب رفضه هذه المرة في نزول دمعتين كبيرتين على خدي الفتاة فجرت مسرعة

الجدولْ وشجرة الحوْر

يحكى أن حطابا يدعى «إيفان» عاش في غابة كبيرة بشمال روسيا . وكان شابا قويا فبنى بنفسه بيتا متينا من الخشب كان مصدر فخره واعتزازه ، ولما فرغ من البناء فكر في أن الوقت حان ليبحث عن فتاة ليتزوجها ، لكن فتيات المنطقة قليلا ما كنّ ينلن إعجابه ، فهو يحلم بامرأة جميلة طويلة القامة ، ذات بشرة بيضاء وشعر أشقر وعينين زرقاوين . ومع مرور الزمن أصبحت الصورة التي كوّنها في خياله شبه حقيقية ، وصار يحلم بها أثناء نومه وفي النهار أيضا . وحين يشتد به الاعياء ويتصبب جسمه عرقا ، من جراء قطع الأخشاب ، يتوهم أنه شاهد فتاة أحلامه بالفعل .

وكان يذهب في الأعياد إلى القرى البعيدة يقصد الكنائس والفنادق لعله يعثر على الفتاة التي تناسب أحلامه . لكنه لا يصادف سوى فتيات بنظرات باهتة لا معنى لها ، ولا يجد فيهن ولو قدرا قليلا .

ومرت الشهور وبدا أن البحث لا نهاية له . وكان الطريق الذي يسلكه «إيفان» ، وهو متوجه إلى عمله ، يحاذي منزلا جميلا له نوافذ خضراء .

وبينما كان في طريقه إلى العمل ذات يوم إذا بستار نافذة يرتفع فجأة ، وأطلت فتاة أخذت تراقبه بنظرات حنان ومودة ، فأيقظ الفتى في قلبها مشاعر الحب دون أن يعلم هو بذلك

وأمرته «روزالكا» بغضب جالح :
… غنِّ بصوت مرتفع !
و… «إيفان» بفراغ كبير في قلبه وأدرك بأن الفتاة ذات النظرات الناعمة هي الوحيدة التي بإمكانها أن تملأ ذلك الفراغ ، وفي الليل فر هاربا ، لكنه سمع صوتا خبيثا يصيح :
– لن تعثر عليها أبدا ! لقد تحولت إلى جدول من فرط البكاء على حبها الكبير ! لن تجدها أبدا !
كانت الشمس قد طلعت عندما طرق «إيفان» باب منزل «ناتاشا» والحسرة تقتله ، لكن دقاته ظلت دون جواب ، وأصابه الذعر حين لمح بالقرب منه جدولا لم يره من قبل وكانت مياهه تنساب رقراقة ، فتقدم نحوه يائسا وغطس وجهه في الماء وعيناه تفيضان بالدموع ثم قال :
– … الذي جعلني أصرف نظري عنك يا «ناتاشا» ؟ كم أحبك الآن !
… عينيه إلى السماء ودعا دعاءا صامتا :
… أن أبقى بجانبها إلى الأبد !
وسرعان ما تحول «إيفان» إلى شجرة حوْر تحاذي جذورها مياه الجدول .
وهكذا وإلى الأبد ظلت «ناتاشا» ترعى بجوارها الرجل الذي أحبته .

وهي تشهق باكية . ورغم شدة يأسها فقد رفضت أن تستسلم وانتظرت مروره في اليوم التالي . وعندما وصل تقدمت إليه وهي تمسك قنينة وقالت له :

لا يمكنك أن ترفض هذا العصير الذي حضّرته لك من أجود فواكه الغابة ، فسيعطيك قوة وجعلت تذكر بأنني ...

لكنه دفعها قائلا :

لا أشرب العصير ولا أحبه !

ثم تابع سيره . وفور ذلك أدرك أنه كان فظًّا مع الفتاة فعاد إليها ، لكنها كانت قد اختفت . وأثناء سيره لم ينقطع عن التفكير فيها فقال يحدث نفسه :

– ليست بشعة ! فعيناها ناعستان ... وشعرها جميل ... ربما كان عليَّ أن أقبل على الأقل واحدة من هداياها . صحيح أن جمالها لا يبلغ ...

وفجأة خطرت بباله فتاة أحلامه فبدأ قلبه يخفق بقوة وشعر بشوق شديد ثم هتف :

– كم أنا سعيد !

وهكذا تحققت المعجزة : بدت له امرأة خارقة الجمال وسط سحابة ذهبية بين الأشجار ، وكان شعرها الذهبي ينسدل على جانبي وجهها الفاتن ، ثم سمع صوتا رخيما يسأله :

– أنا «روزالكا» جنية الغابة ، فهل تقبل أن تغني لي ؟

ومن شدة افتتانه لم يستطع أن يحول عينيه عن نظراتها الناعمة وقال لها :

– سأغني لك مدى الحياة إذا استطعت فقط ...

ومدّ يده ليلمس الجنية ، لكنها كانت قد صعدت إلى أعلى غصن في الشجرة وهي تقول :

– غن ! غن ! فلن أستطيع النوم إلا إذا أسمعتني غناءك !

ففرح «إيفان» وبدأ يردد بعض الأغاني القديمة التي سمعها في طفولته ، ثم واصل ترديد أغان عاطفية بينما بدأ النوم يداعب أجفان الجنية وهي لا تزال تقول :

– غن ! غن ...

وعند حلول المساء استمر يغني بصوت أجش وهو يحاول أن يُهَدْهِدها لتنام .

ولما أطبق الظلام شعر بالتعب والبرد ، وكانت «روزالكا» تحثه على مواصلة الغناء :

– غن ! غن ، إن كنت تحبني !

وتابع الغناء بصوت متأوه . ثم حدث نفسه :

– كم أحب أن تكون لي صدرية صوفية تحميني من البرد !

حينئذ تذكر «ناتاشا» فأحس بحزن عميق يجتاح كيانه وقال :

– كم أنا غبي . كان عليَّ أن أختارها زوجة لي فهي أجدر من هذه المرأة التي لا تعطي شيئا مقابل ما تأخذه !

العصفور الذهبي

يحكى أن معبدا كبيرا عاش فيه بعض الرهبان البوذيين . وحول المعبد كانت تمتد حديقة غنّاء تكثر فيها الأزهار والنباتات النادرة .

وكان جمال المكان كافيا ليخفف عن الرهبان وطأة عزلتهم ، فقضوا أيامهم السعيدة في الصلاة والتأمل . لكن حادثا طرأ ذات يوم فغيّر حياة هذه الواحة الهادئة وبدأت الأيام تبدو طويلة مملة ، ولم يعد يسود بين الرهبان نفس الوئام وأخذ الخصام يدب بينهم .

فما الذي حدث يا ترى ؟

لقد وَفَدَ على المعبد راهب شاب وحكى لهم عما يوجد وراء الجدران من مدن وأنوار وحياة كلها متعة وتسلية .

فلما سمع الرهبان وصْف تلك الحياة المختلفة لم تعد لديهم رغبة البقاء في المعبد الذي كان يبدو لهم إلى حدّ الساعة كالجنة . فغادرت المعبد جماعة أولى تحت قيادة الراهب المتمرد ، ثم تبعتها جماعة أخرى . وشيئا فشيئا صار المعبد خاليا وبدأت النباتات الطفيلية تغزو ممرات الحديقة من فرط الاهمال ، ولم يعد أحد يتجول فيها متأملا ، وحتى الرهبان الخمسة الذين ظلوا في المعبد صاروا مترددين بين الوفاء لهذا المكان المقدس أو الرغبة في رؤية الحياة الجديدة والعيش فيها . ثم استعدوا للرحيل بحزن .

وفي لحظة مغادرة المعبد شاهدوا عصفورا ذهبيا يحلق فوق رؤوسهم وكانت خمسة خيوط بيضاء تتدلى منه . ودون تفكير أمسك كل واحد منهم بخيط ، وفجأة وجدوا أنفسهم محمولين إلى العالم الذي حلموا به ، وشاهدوا إلى أي حد كانت الحقيقة مجهولة لديهم : الحقد والشقاء والعنف ، عالم بلا شفقة ومحروم من الأمن والسلام . وتهيأ لهم أنهم قاموا برحلة طويلة .

ولما عاد العصفور بهم إلى حديقة المعبد قرروا أن لا يتركوها أبدا .

وحلق العصفور فوق رؤسهم ثلاث مرات ثم اختفى في الفضاء . فأدرك الرهبان أن روح «بوذا» قد جاءت لتساعدهم في البحث عن الطريق التي تقود إلى السعادة الحقيقية .

وذات يوم مر «نرجس» بالقرب من صخرة تشرف على بحيرة صافية وأطل من فوقها على ماء البحيرة . ولما بدت صورته منعكسة انحنى متعجبا وقال :

– كم أنت جميل يا «نرجس» ! عجائب الدنيا كلها لا ترقى إلى جمالك ! كم أود تقبيلك !

ولم تلبث هذه الأمنية أن تحولت إلى رغبة جامحة في نفس «نرجس» الذي استمر ينحني على بطنه ليلمس الماء حتى فقد توازنه فسقط في البحيرة وغرق في مياهها . ولما علمت الآلهة بموت أجمل إنسان في الدنيا أرادت أن تخلد ذكراه في الأرض بشيء جميل ، فحولته إلى زهرة عطرة أصبحت منذ ذلك اليوم تزهر في الجبال عند حلول الربيع ، وهي التي يسميها الناس زهرة النرجس .

نـرجـس

يحكى أنه كان في بلاد الاغريق شاب إسمه «نرجس» أثار إعجاب الناس بروعة جماله . وكان فخورا بجمال وجهه ورشاقة جسمه ، ولم تكن الفرصة تفوته دون أن يتأمل صورته على سطح الماء : كان يقضي الساعات تلو الساعات وهو يتأمل في نشوة بريق عينيه السوداوين ، ورقة أنفه ، ودقة شفتيه ، وتجعد شعره الذي يتوج شكل وجهه البيضوي فكأن خالقا بارعا خلق هذا الجسم بأطرافه المتناسقة ، فأضحى صورة حية لجمال في غاية الروعة .

الأمير ياقوتة

يحكى أنه كان في بلاد الغرس رجل شحاذ حالفه الحظ ذات يوم فأصبح ذا ثروة طائلة .
فقد حدث أن فاضت مياه النهر على المدينة فجأة ، وعندما تراجعت تركت رسوباتها على ضفافه . ومن بين الرسوبات لمح الشحاذ حجرة حمراء تلمع لمعانا فالتقطها وأخذ يتفحصها وهو مُنْبَهِرٌ ببريقها ، ثم انطلق إلى صديق له يعمل في مطابخ قصر الملك . فلما لقيه سأله وقلبه مفعم بالأمل :

– كَمْ وجبة عشاءٍ تقدمها لي مقابل هذه الحجرة البراقة ؟

فصاح الطباخ وهو يفحص الحجرة في ضوء الشمس :

– هذه ليست حجرة يا أحمق ! إنها ياقوتة ثمينة وعليك أن تعرضها على الشاه فورا !

وفي الغد ذهب الشحاذ إلى قصر الشاه وأهداه الياقوتة ، فقال له الشاه :

– أين عثرت عليها ؟

فأجابه الشحاذ :

– وجدتها يا جلالة الملك بين الأوحال على ضفة النهر !

فأردف الملك قائلا :

– كيف يعقل أن يترك النهر لك هذا الكنز دون سبب ؟ سأعطيك مقابلها كيسا مملوءا بالقطع الذهبية . فهل تقبل ؟

ولم يكن الشحاذ قد سبق له طوال حياته أن رأى سوى بعض القطع الفضية فلم يصدق

–ما سمعته أذنه وقال متلعثا :
– هذا أسعد يوم في حياتي ! شكرا لك أيها الملك !
وقبل أن يضع الملك الياقوتة الثمينة في الصندوق الذي يحفظ فيه جواهره النفيسة نادى إبنته «فاطمة» وكانت فائقة الجمال ، ثم قال لها :
– هذه أكبر ياقوتة رأيتها في حياتي ، انظري كم هي رائعة !
وعندما تبلغين ثمانية عشرة سنة سأقدمها لك هدية مني !

فتفحصت «فاطمة» الحجرة الكريمة مليا ، وبحماس ارتمت في حضن أبيها :

– إنها رائعة جدا ! شكرا يا أبي ! وأنا على يقين من أنها ستجلب لي حظاً سعيدا !

وبعد شهور حلت ذكرى ميلاد «فاطمة» فذهب أبوها ليخرج الياقوتة كما وعدها بذلك ، ولكنه ما إن رفع غطاء الصندوق حتى تراجع إلى الوراء مذعورا حيث خرج من الصندوق شاب وسيم خاطبه مبتسما :

– لقد حللت مكان الياقوتة التي تبحث عنها ، فأنا أمير الياقوتة ! ولا تسأل عن كيفية حصول هذه المعجزة ، فهذا سر لا يمكنني أن أبوح به !

ولما استفاق الملك من دهشته قال غاضبا :

– كنت أملك حجرة ثمينة ، واليوم أجد مكانها أميرا . فكيف لا أطلب تفسيرا لما حدث !

فقال الأمير بكبرياء :

– أنا آسف يا جلالة الملك ، ولكن لا شيء في الدنيا يجبرني على أن أبوح بسر وجودي ههنا !

وأمام إصرار الشاب على كتمان سره قال له الشاه وقد عثر على طريقة يعاقبه بها على كبريائه :
– بما أنك خلّلت محل ياقوتتي فستصبح من الآن فصاعدا في خدمتي ، أليس كذلك ؟
فرد الأمير :
– بالتأكيد يا جلالة الملك ! فأنا رهن إشارتك !
وأردف الملك قائلا :
– طيب ! سأهبك سيفي الذهبي هذا ، بل أعدك بأن أزوجك إبنتي «فاطمة» إذا استطعت أن تقتل تنين وادي الموت فهو يمنع القوافل من عبور الغابة !
وكان العديد من الفرسان الشجعان قد فقدوا حياتهم عندما حاولوا مصارعة التنين . وكان الشاه يظن أن الأمير سيلقى نفس المصير ، فإذا حصل العكس وتوجت محاولته بالنجاح فسيكون «الفاطمة» حظ الزواج من أمير مقدام . وهكذا تسلح الأمير بسيف الملك وتوجه إلى وادي الموت ، ولما بلغ الغابة المخيفة صاح في الوحش بأعلى صوته لكنه لم يسمع سوى صدى صوته ، وأطبق على الغابة صمت رهيب . ثم صاح من جديد ولكن دون جدوى . فاتكأ الأمير على شجرة ، وسرعان

ولم تزل الأميرة تردد أسئلتها حتى غضب الأمير وقال لها وقد امتقع وجهه :

– لا يمكن ذلك مطلقا لأنني لا أستطيع الاجابة ! ولا ينبغي لك أن تطرحي علي أسئلة من هذا النوع وإلا فقدتني إلى الأبد !

ورغم ذلك ظلت تصر على معرفة حقيقة زوجها . وبينما كانا ذات صباح يستريحان على ضفة النهر الذي يحد حديقة القصر ارتمت «فاطمة» على قدميه تتوسل إليه باكية ليبوح لها بسره ، فاصفر وجه الأمير من جديد وقال :

– لا أستطيع !

فألحت عليه كثيرا :

– أرجوك صارحني ، أرجوك !

ورد الأمير :

– أنت تعلمين أن الاجابة ممنوعة علي ...

فقالت له :

– قل على الأقل من هو أبوك ؟

في هذه اللحظة بدأ الأمير يتردد ، ثم حدق مليا في عيني زوجته التي كان يحبها كثيرا ، ولامس رأسها بلطف وهو يقول :

– لا أريدك أن تتألمي أكثر ، وإذا كان هذا الأمر يؤرقك فإنني أقول لك ...

وما إن همّ بالكشف عن سره حتى اندفعت موجة كبيرة جرفته إلى النهر حيث ابتلعته دوامة المياه ولم يظهر له أثر .

ما بدأ النوم يداعب جفنيه غير أنه ، في تلك اللحظة ، سمع صوت انكسار أغصان الأشجار وبدأت الأرض تهتز من تحت قدميه ، وسمع صفيرا مرعبا تتزايد قوته تدريجيا فأدرك أن التنين الكريه قادم . فأخرج الأمير السيف من غمده وأمسكه بيديه مستعدا لمصارعة الوحش الهائل الذي داهمه وفمه مفتوح ، وبرزت مخالبه الحادة تهم بالانقضاض عليه ، ولكن الأمير بخلاف الفرسان الذين سبقوه لم يخف ولم يتراجع ، بل هجم على التنين وضربه بسيفه على رقبته ضربات قوية حتى انفصل رأس الوحش عن جثته .

فلما عاد إلى القصر برأس التنين في يده استُقبل استقبال الأبطال بالهتاف والتصفيق .

وعندئذ طلب من الملك أن يفي بوعده فاستجاب له وزوجه «فاطمة» . وعاش الأمير سعيدا معها ، إلا أن «فاطمة» ظلت دائما تخامرها الرغبة في معرفة أصل زوجها فكانت تسأله :

– لا أعرف عنك شيئا ! قل لي على الأقل من أنت وأين كنت تعيش من قبل ؟

لم تصدق الأميرة ما رأته ، وعبثا جرت على طول الضفة تنادي الأمير بأعلى صوتها . لكن المياه عادت إلى هدوئها وكأن شيئا لم يكن . ولما يئست من المناداة لجأت إلى الحراس لمساعدتها . وجاء الملك بنفسه ليواسيها . ومنذ ذلك اليوم ظلت الأميرة في حزن شديد ، ذلك لأنها أدركت أن إلحاحها على زوجها بالأسئلة هو الذي تسبب في هذه المأساة .

وبينما كانت جالسة ذات مساء تفكر في همومها إذ جاءت إحدى خادماتها وهي تلهث وقالت لها :

أيتها الأميرة ! لقد رأيت في الليلة الماضية شيئا عجيبا ! شاهدت أنوارا صغيرة بأعداد كبيرة فوق سطح النهر . وبعد ذلك انشقت المياه وخرجت منها آلاف الأرواح الصغيرة تُزيِّن ضفة النهر بالأزهار ، وجاءت بعدها مجموعة من الشباب ظلّوا يرقصون طويلا أمام رجل عجوز كان يجلس على عرش من الذهب وكأنه ملكهم . وقرب العرش وقف شاب وعلى جبينه ياقوتة بدت لي أنها هي ...

ارتجف قلب الأميرة عند سماع خادمتها ، وتأكدت من أن الشاب الذي يحمل الياقوتة هو زوجها .

ولما حل الليل توجهت هي وخادمتها إلى الحديقة واختبأتا وراء الأشجار .

وعند منتصف الليل بالضبط رأت آلاف الأنوار تتراقص مثل الحباحب فوق الماء ، ثم تبعتها أرواح صغيرة ، وأخيرا ظهر عجوز ذو لحية بيضاء يرتدي عباءة مذهبة وفي يده صولجان المُلْك وبجانبه شاب وسيم .

وعلى الفور تعرفت «فاطمة» على زوجها الأمير . ولما جاء دوره ليرقص لاحظت أنه يترنح

على ساقيه ، فوضعت خمارها على وجهها وقامت بانحناءة أمام العجوز ثم أخذت ترقص مثل إحدى الجنيات .
فأعجب الجميع في صمت برقصاتها وتعالت التصفيقات من كل جهة
وسمعت «فاطمة» صوتا يقول :
– أيتها الغريبة الجميلة ، اطلبي ما تريدين فسيكون لك في الحال !
عندئذ أزاحت الأميرة خمارها وأشارت بأصبعها نحو الأمير قائلة :
– أريد فقط أن تعيد إلي زوجي !
فقال لها العجوز :
– أعدك بذلك ! سيعود إليك إبني الأمير ياقوتة ، ولكن تذكري دائما سبب فقدانك له ، وحاولي أن تكوني أكثر رزانة وتعقلا في المستقبل !
انشقت مياه النهر ثم تراجعت إثر اختفاء ملك المياه وحاشيته في جوفها ، بينما عاد الأمير ياقوتة إلى زوجته من جديد وعاشا سعيدين .

Arab Comics
عرب كوميكس
و بلـو بيرد

Scan By.: M.Raafat & Rabab